

العذرية وهوس الافتضاض: مقارنة أنثروبولوجية لممارسة التصفيح في المجتمع المحلي بمدينة الشريعة

Virginity and defloration mania: an anthropological approach to the practice of "Tasfih" in Cherea local community

وهيبة ساري*، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، Wahiba_sari@yahoo.fr

الزهرة قريصات، جامعة ابن خلدون تيارت، krissat14400@live.com

تاريخ النشر: 2023/06/30

تاريخ القبول: 2023/06/20

تاريخ الإرسال: 2023/05/06

الملخص:

كان موضوع العذرية كقيمة اجتماعية ولا يزال من أكثر المواضيع أهمية في حقل الدراسات السوسيو أنثروبولوجية باعتباره معطى ثقافي ميز المجتمعات العربية منذ القدم وما زاد من أهميته هو ارتباطه بالجسد الأنثوي "أي جسد المرأة" الأمر الذي جعله من المواضيع المحظورة أو التابوهات لارتباطه بمفهوم الشرف في المجتمع الجزائري، هذه القيمة التي سعت المرأة للحفاظ عليها بكل الطرق باعتبارها محمدا من محددات المكانة الاجتماعية. ومن هذا المنطلق أضحت العذرية البيولوجية للفتاة أي "سلامة غشاء البكارة" دالا ثقافيا يعكس شرف الفتاة وشرف عائلتها وأصالة نسبها، لذلك سعت المرأة في المجتمع المحلي بمدينة الشريعة ولاية تبسة للحفاظ على عذرية بناتها بممارسة عملية "التصفيح" كآلية من آليات ضبط الجسد الأنثوي، هذا الطقس والمعتقد الشعبي الذي أثبت نجاعته في غلق الجسد الأنثوي ومنعه من الاختراق. وعليه حاولنا من خلال منظور تحليلي استجلاء تصورات المجتمع المحلي حول عذرية المرأة ومحدداتها من خلال ممارسة "التصفيح"، الأمر الذي قادنا إلى تساؤل رئيسي مفاده: كيف يتمثل المجتمع المحلي بمدينة الشريعة ممارسة "التصفيح"؟ وما مدى استمرارية هذه الممارسة في ظل ظهور بدائل عصرية؟

الكلمات المفتاحية: التصفيح، العذرية، الافتضاض، الشرف، الجسد الأنثوي

Abstract :

The subject of virginity as a social value and is still one of the most important topics in the field of socio-anthropological studies as a cultural given that characterized Arab societies since ancient times and what increased its importance is its association with the female body "woman's body", which made it one of the prohibited topics or the fathers because of its association with the concept of honor in Algerian society, this value that women sought to preserve in all ways as a determinant of social status. From this point of view, the biological virginity of the girl, i.e. the "integrity of the hymen", has become a cultural indication that reflects the honor of the girl and the honor of her family and the authenticity of her lineage, so women in the local community of Cherea city in Wilaya de Tebessa sought to preserve the virginity of their daughters by practicing the process of "Tasfih" which is a ritual to protect the female virginity as a mechanism of controlling the female body, "this ritual and popular belief, which has proven its effectiveness in closing the female body and preventing it from penetrating.

Therefore, we tried, through an analytical perspective, to clarify the local community's perceptions of women's virginity and its determinants through the practice of "Tasfih", which led us to a key question: How is the local community in Cherea city in the Wilaya of Tebessa represented by the practice of "Tasfih"? How sustainable is this practice considering the emergence of modern alternatives?

Keywords: Tasfih, virginity, defloration, honor, female body

تمهيد :

مما لا شك فيه أن المجتمع الجزائري يمتاز بخصوصيته الثقافية التي تضيقه عن باقي المجتمعات الأخرى هذه الخصوصية المتمثلة في جملة القيم والعادات والتقاليد والتمثيلات والممارسات التي لا تخلو من الرموز واستخداماتها والتي تحتل حيزا كبيرا في الثقافة الإنسانية ما أدى إلى إثراء هذه الثقافة وتنوعها وبالتالي ثراء المنظومة الرمزية بالدلالات والمعاني الملازمة لها على مستوى الذهنيات والتي تترجم من خلال الممارسات والسلوكيات التي تحكمها القيم الاجتماعية والتي تحدد الهوية الثقافية للمجتمع المحلي والتي سنقف على احد جوانبها من خلال تحليل موضوع العذرية كقيمة اجتماعية من خلال ممارسته التصفية أو ما يعرف بالثقاف le nouement وفق مقاربة كيفية

تتلاءم وطبيعة البحث الانثروبولوجي، لهذا تمحورت ورقتنا حول السؤال المركزي " ما هي تمثلات

المجتمع المحلي لقيمة العذرية في المجتمع المحلي " والذي انبثقت منه تساؤلات فرعية

- 01- ما مفهوم عذرية المرأة في المجتمع المحلي . وما هي محدداتها ؟
- 02- ما هي الدلائل الثقافية التي تحملها ممارسة التصفيح في المجتمع المحلي ؟
- 03- ما مدى استمرارية هذه الممارسة في ظل ظهور بدائل عصرية ؟

أولاً: تصورات العذرية في الثقافة المحلية

أ / المجال الدلالي للعذرية وارتباطه بالشرف :

تعتبر مجتمعاتنا العربية عالم الفحولة على أنه العالم المقدس، والقائم على تمجيد العقلية الذكورية، مقيمة الحجة دوماً على الأنثى في مقصد يعتبر في غاية الأهمية وهو سلامة بكارتها، وبالتالي فهذا التفكير هو عضوي وظيفي فالعضوي هو سلامة الأعضاء بداية من طقوس الختان للطفل الذكر الصغير، الذي يعلن عن إتحاقه بعالم الفحولة المقدس، وسلامة الأنثى في بكارتها وحضوتها دوماً في منزلة الشرق، الشرف الذي تحمله رمزيا كل العائلة إلى غاية أداء وظيفتها، وهو علاقة الرجل بالمرأة في إطار لإشكالية البكارة، أين يسقط هذا الشرف الواهي المترهل إن لم تحافظ عليه (بن عرفة و عالية، 2019)

إن العذرية كظاهرة اجتماعية معروفة منذ القدم إلا أن دراستها كقيمة اجتماعية وثقافية حديثة العهد حادثة ظهور الدراسات الانثروبولوجية المحلية التي تجعل من المحلي مجالاً خصبا لها فالعذرية كمفهوم تنحدر من القدرة أي البكارة وهي ما للبكر من التحام قبل الافتضاض لذلك نجد أن البكر سميت بالعذراء لضيقها من قولك تعذر عليه الأمر (منظور، 2004)

أما مفهومها الاصطلاحي فهو منبثق من المفهوم البيولوجي لها وهو التمتع بغشاء البكارة لذلك نجد الباحثة على اختلاف إيديولوجياتهم وأطهرهم فإنهم يستندون في توضيحهم لهذا المفهوم على المفهوم البيولوجي وعلى سبيل الفكر لا الحصر نجد أن فاطمة المرينسي تذهب إلى القول بأن العذرية مرتبطة بالفتاة العذراء أي الفتاة التي تتمتع بغشاء بكارة يختتم مهبلها الذي لم يلمسه رجل من قبل ومن هنا فإن العذرية ليست مسألة نسائية أنثوية بل هي ذكورية تلعب فيها المرأة دور الوسيط الصامت فهي تمثل قيمة الشرف لأنها مظهر من مظاهر الهيمنة الذكورية في المجتمعات التي تعمل المرأة على إعادة إنتاج سلب الأنثى وحرمتها من الثقة بالنفس (ابلكاركان، 2004) وهذا ما أكدته الباحثة والطبيبة نوال السعداوي بقولها أن العذرية والشرف مفهومان متلازمان

فالشرف أساساً مرتبط بالعرض أي عذرية الفتاة قبل زواجها وإخلاصها وطاعتها لزوجها بعد الزواج وفقدان العذرية يعني فقدان شرف البنت وشرف عائلتها (السعداوي، 1982، ص 52)

وهذا ما يمكن أن نسميه في المجتمع المحلي بهوس العذرية بحيث ساوى بين العذرية بمعناها بيولوجي المتمثلة في غشاء البكارة وبين عدة قيم أخلاقية كالعفة والحياء تعدى ذلك إلى الشرف والفضيلة والالتزام وهذا ما استقيناه من المقابلات الميدانية مع المبحوثات بحيث اشتركن في إعطاء صورة أو تمثل واحد لقيمة العذرية على اختلاف مستوياتهم الثقافية والاجتماعية والذي يصب في قالب مقدس وهو الشرف

● إن هذا التصور لقيمة العذرية والتصاقه بقيمة الشرف لم يكن وليد الصدفة إنما هو نتاج عملية تسرب قيمي من خلال العمليات التنشؤوية التوجيهية للأُنثى والأم تعمل على تمرير فكرة العذرية والشرف بطريقة ترهيبية ما جعل من التريبة الجنسية مقتصرة في جانب من التخويف أكثر من إعداد الأُنثى وتهيئتها لمراحل متقدمة وهذا ما لمسناه من خلال المقابلات المعقمة بحيث صرحت إحدى المبحوثات أن أمها منذ بلوغها وهي توجه لها تحذيرات سلوكية كالتحذير من ركوب الخيل والدراجات الهوائية والامتناع عن ممارسة بعض الرياضات العنيفة بل تعدت ذلك لأسلوب الجلوس والمشي خاصة أمام الذكور ومواعيد الدخول والخروج من وإلى البيت كما تضمنت أيضا تحذيرات تتعلق بأساليب النظافة الشخصية ولما كان السؤال لماذا كان الرد ان البنت أو المرأة راس ما لها هو شرفها " تستحفظ الطفلة على روحها ترفع راسها ورأس والديها " وان هذا الشرف أساسا يتمثل في العذرية بمعناها البيولوجي مع إلحاق بعض الصفات الأخلاقية كالحياء والخجل والعفة ... الخ

وعلى هذا الأساس كانت عملية التنشئة الاجتماعية الأسرية هي حجر الأساس في إضفاء القدسية على غشاء البكارة منذ الطفولة إلى بلوغ الأُنثى ثم المراهقة للتحويل تلك التحذيرات السلوكية إلى قواعد صارمة أي بمثابة العرف الاجتماعي والخروج عنها يؤدي إلى العقاب خوفا من فقدان العذرية بوجهها البيولوجية والاجتماعية

إن هذا الترسخ لقيمة البكارة في المجتمع المحلي أسهم فيه أيضا العامل الديني حيث جاء في الكتاب الكريم ان المسلم وعد بالحوار العيني في الجنة لقوله تعالى " لم يطمئنهن انس قبلهم ولا جان " صدق الله العظيم ^١ وهنا المقصود بها العذراء التي لم يلمسها بشر ولاجن ما يعزز قيمة العذرية والمرأة العذراء وبعيدا عن التصور الإسلامي للمرأة البكر والعذراء فان الديانة المسيحية تقدم صورة

● مقابلة مع المبحوثة س ح خريجة معهد الاعلام الالي ، مستوى اجتماعي متوسط ، مواليد

نموذجية للسيدة مريم العذراء وعلى هذا الأساس فإن كل امرأة تخالف هذا التصور تدخل ضمن العهر والزنا دينيا والمنبوذ اجتماعيا

نستخلص مما سبق أن المجال الدلالي لقيمة العذرية وثيق الارتباط بقيمة الشرف في المجتمع المحلي بمختلف مستوياته الثقافية والاجتماعية ويكمن الاختلاف فقط في طريقة تقديم التحذيرات السلوكية والتي ترافق الأنثى منذ طفولتها إلى بلوغها إلى المراهقة لتزداد صرامة من مرحلة عمرية إلى أخرى متقدمة عنها حتى بلوغ الأنثى سن الزواج وهذا ما لمسناه في تصريحات المبحوثات على اختلاف أعمارهن التي تراوحت بين 18 و 35 سنة ومستوياتهن الثقافية (تعليم قراني – ثانوي – جامعي) لتصل إلى مرحلة خطيرة من هوس العذرية وهي الرقابة على التنفيذ كما تقول مها محمد حسن (حسن، 2010، ص 271) وحسن الامتثال للتوجهات والنصائح التي أصبحت قيودا سلوكية مفروضة على الأنثى للحفاظ على قيمتها في مجتمعها هذه القيمة والمكانة التي تستمدّها من عذريتها البيولوجية والاجتماعية .

تابو العذرية وهوس الافتضاخ :

لقد أسست التنشئة الأسرية كمحدد أساسي لتابو العذرية والتابو هو قرار اجتماعي ثقافي يحرم الأشياء التي تخالف القيم والأعراف التي نخافها من هذا المنطق حرم الافتضاخ خارج مؤسسة الزواج لأن إزالة العذرية تعني إسالة الدم ولا يمكن أن يحدث ذلك دون طقوس معينة لأن الدم ذو رمزية كبيرة عند الشعوب عامة فهو رمز للحياة وقنطرة نو عالم الأرواح والجن (مجموعة من الباحثين، 2008) وهذا ما يؤكد قولنا سابقا أن العذرية في مقامها الأول تتمثل في غشاء المهبّل أكثر مما هي حالة من الطهر الداخلي وصون هذه العذرية هو واجب (أخلاقي سنه العرف والدين) كل فتاة تحترم نفسها وفي هذا السياق نجد أن الباحث زين الدين ورموز في دراسته الموسومة بـ " الفتاة ، العائلة ، العذرية " يؤكد أن قيمة العذرية هي ذلك الطابو والمقدس اللذان لا يمكن مناقشتهم فعدرية الفتاة هي وعاء يحمل رجولة الأبناء الذكور وعذرية النساء الأخريات في العائلة ومن هنا فإن الفتاة تفقد فردانيتهما لحساب العائلة وما يضيف على العذرية الصيغة العائلية والمجتمعية (بلحسن، 2010، ص 38) وهذا ما أكدته تصاريح غالبية المبحوثات باختلاف أعمارهن ومستواهن التعليمي وهي بذلك تبرز هيمنة الذكوي على الجسد الأنثوي فهي تجسد مظهرا من مظاهر سلطة الأبناء الذكور والعائلات على الأنثى في محيطها الاجتماعي

– إن الدراسة الميدانية في المجتمع المحلي " الشريعة تبسة " " لقيمة العذرية " كشفت الستار عن هذه القيمة التي يدعي بعض من أفرادها أنها من بقايا فكر تقليدي في عصر يغزو العلم والتطور إلا أن المقابلات المعمقة كشفت عكس ذلك ، انه بالرغم من المستوى التعليمي الذي وصل إليه سكان

المنطقة إلا أن تمثلهم لهذه القيمة ليس انعكاسا لتنشئة مدرسية أو مرتبط بجاوب ثقافي معين إنما هو تحصيل حاصل للتنشئة الأسرية التي تتلقاها البنت منذ طفولتها إلى غاية زواجها بل إلى مراحل متقدمة بعد الزواج إذن فالمسالة هنا هي مسالة نظام قيمي تعيد المرأة إنتاجه بعيدا عن المتغيرات العلمية

- * إن تمثل المحلي لهذه القيمة أصبح بمثابة الثوابت الثقافية التي تدخل في تكوين محددات الثقافة المحلية وعلى هذا الأساس شكلت العذرية أو البكارة حجر الزاوية في هذا المجتمع المصغر فأضحت شرطا مسبقا والزاميا للأنثى ليلة زواجها فهي بذلك من البدميات التي لا تناقش وفقدانها من الممنوعات يؤدي بصاحبها إلى النبذ والإقصاء والاحتقار من قبل عائلتها والمجتمع ككل فحينها بسبيل الرجل دم المرأة عن الافتضاض دون أن يأذن له المجتمع بذلك يخاف من العقاب ذو الطبيعة الاجتماعية والدينية في الوقت ذاته لأن إسالة الدم بغير حق كان من الآثام الكبيرة لدى الشعوب القديمة على حد تعبير عبد الصمد الديالمي * (مجموعة من الباحثين، 2008، ص 8) وبذلك كان لافتضاض العذرية في حفل الزفاف هو حرق منظم لطابو العذرية منظم اجتماعيا ودينيا يكون في هذا الخرق غشاء البكارة هو شهادة الشرف تمثلا للمعايير المجتمعية والأخلاقية والسلطة الذكورية الممارسة على الجسد الأنثوي (مجموعة من الباحثين، 2008، ص 12) من هذا المنطق سعت المرأة في مدينة الشريعة الى الحفاظ على عذرية بناتها بطرق كثيرة أبرزها ما يعرف بالتصفيح " « le nouement أو ما يعرف بالثقاف فما هو التصفيح وكيف يتم دلالات هذه الممارسة في المجتمع المحلي

التصفيح والجسد المرصود للألم :

إن ممارسة التصفيح على الفتيات في سن مبكرة " في مرحلة الطفولة قبل البلوغ " هو أساسا عملية سحرية هدفها الحفاظ على شرف الفتاة أي بكارتها وهو وقاية مؤكدة من كل خطر خارجي وهي ممارسة تخضع لها الفتاة على سبيل الاحتياط لأن هذا الإغلاق يمنعها من مباشرة أي علاقات جنسية لن تعرض غشاء البكارة لخطر الافتضاض أو التمزيق (شبل، 2010)

إن هذه الممارسة ما زالت تمارس عند بعض الأسر في المجتمع المحلي وشرحت لنا إحدى القائمات على هذه الممارسة كيفية إتمام العملية فهي تنطوي على مرحلتين :

المرحلة 01 : تسمى التصفيح أو باللغة العربية الإغلاق تكون قبل الزواج وأفضل مرحلة

تكون فيها في سن الطفولة قبل البلوغ خوفا من الحياة الجنسية للأنثى

المرحلة 02: تسمى " حل التصفيح " أي إزالة الغلق وتكون في الأيام الثلاثة قبل الدخول أو الزفاف ويحبذ أن يكون قبل الدخول بيوم حتى لا يلتئم الجرح⁺

أما عن كيفية وطريقه فقد اختلفت من عائلة إلى أخرى فنجد طرق كثيرة تندرج حسب سهولتها وسرعة فكها منها التصفيح بالتمر والزبيب والحمص وخيط النيرة (خيوط المنسج) والسداية أيضا التصفيح بالشربية (اي القفل) وهو يعتبر من أصعب الطرق وأخطرها إن مشاهدة العينية والمشاركة في حضور عملية إجراء التصفيح أي غلق هذا الجسد عرفتها بطريقة اجرائه عن كثب ، ان عملية الغلق تتم في جو مقدس يسوده السكون والهدوء لان أي خطأ قد يؤدي الى ما يحمد عقباه . تدخل البنت المفعول عليها مع والدتها الغرفة تجهز الأم شفرة حديدية حادة و 07 حبات تمر تقابلها الداية " المرأة القائمة على العملية " تغلق الباب وتوصي اللواتي في الخارج بعدم الدخول أي كان وخاصة الذكر لان ذلك سيبطل المفعول السحري للعملية حتى تنهيا الفتاة تشعرها كل من الأم والداية بالطمأنينة من خلال تمرير خطاب ذكوري بامتياز قائلة " بنتي أنت راكي كبرتي والطفلة كي تكبر لازم تكون فعلة وترفعي راس باباك وخيوتك لازم توكلي التمرات هاذو باش ماتضرك حتى حاجة وتبقى بنتي مستحفظة على روحها "بعدها مباشرة تباشر القائمة على التصفيح بتعرية البنت إلى فوق الركبة ، تحدد 07 أماكن للشرط ، تبدأ بفتح الفجوة الأولى من الأعلى إلى الأسفل بواسطة الشفرة حتى تسيل الدماء ، تفتح البنت حبة التمر تنزع منها النوى وتأخذ كمية الدم التي سالت بين نصفي حبة التمر وتأكلاها وهكذا حتى الفجوة السابعة (بعدها مباشرة تأتي الأم بعشبة الرمرام وهو نوع من أنواع الحشائش شديد الخضرة ينبت بكثرة في ضواحي المدينة ، تقوم بهرس العشبة أو مضغها ثم تحك على أماكن كل الجروح وتستطيع استبدال هذا العشب بسواد الطاجين " أنية طينية طهي الخبز المنزلي الكسرة ") ويحك على مواضع الجروح بحيث تقول البنت وراء كل فجوة تفتح قبل تناول حبة التمر أنا حيط وولد الناس حيط (تتكرر هذه المقولة 07 مرات بغرض الحفاظ على أماكن الجروح لتصبح وشما على فخذ الفتاة يدل على الجسد المغلق غير قابل للافتضاض بعدها تقوم الأم بدفن النوى السبع في حفرة مع الشفرة من التراب في جو يسوده السكون والهدوء التام لان اي خطأ او صخب من شأنه ابطال العملية مثله مثل اي عملية سحرية اخرى

إن هذا النوع من الغلق (التصفيح) يسمى تصفيح الشلاط (أي باستعمال الشفرة) ويمكن استعمال أيضا الزبيب والحمص مكان حبات التمر وهناك نوع آخر من التصفيح يسمى تصفيح

⁺ : المخبرة : ذياب . ع 57. سنة (عرش أولاد سعيدان – قبيلة النمامشة) قائمة على ممارسة التصفيح وفتحه في مدينة الشريعة

السداية : بحيث يتم إحضار مستلزمات المنسج والمتمثلة في (الخلالة – النغاد- السفافيح – عمود النيرة – المخايط – اباري السروج – عمود الحط – الامائق – الحذاذير – الجوابد) يركب المنسج بطريقة أفقية بحيث تمر الفتاة فوقها 07 مرات وفي كل مرة تقول نفس المقولة " ولد الناس خيط وأنا حيط " بعد المرة السابعة تبول الفتاة فوق هذه المستلزمات بعدها تنشر هذه المستلزمات لتجف وحسب تصريح المبحوثات فان هذا النوع من التصفيح لم يعد منتشرًا كثيرًا نظرًا لاضمحلال المناسج التقليدية

● إن هذه العملية السحرية القائمة على غلق هذا الجسد هو هيمنة على جسد المرأة وممارسة تضمن ضبط جنسانية النسوية في المجتمع المحلي بطريقة سرية وهذا ما توصلنا له من خلال المقابلات المعمقة مع بعض العائلات في فضاء الحمام الذي يسمح بمناقشة الموضوع من جميع جوانبه بكونه فضاء مخصص للعناية بهذا الجسد الأنثوي بامتياز. إن هذه السرية يمكن تفسيرها بالنفاق الاجتماعي أو الرياء الاجتماعي (ا) الذي تحلت به مجموعة كبيرة من المبحوثات وخص بالذكر الجامعيات اللواتي تنكرت للظاهرة بحكم منافاتها للجانب الديني إلا أنهم طبقنها على بناتهن⁸ إن الدافع الأساسي الذي يكمن وراء اللجوء لممارسة التصفيح هو الحفاظ على العذرية البيولوجية وبالتالي انتقالها من مفهومها البيولوجي إلى مفهومها الثقافي باعتبارها تمثل شرف وعفة وطهارة الفتاة وتأصل نسبها.

تصفيح هذا الجسد أو غلقه وتحصينه يعتبر إلزامية مجتمعية عرفية للقيام بالعلاقة الجنسية الأولى في إطار اجتماعي مسموح وهو الزواج ففي المجتمع المحلي يتمثل مفهوم الرجولة في قدرة العائلة على الحفاظ على بكاره وعذرية بناتها إلى يوم الزواج وهو في نظرهم طقس مرور لفض العذرية ومن هنا ينظر إلى الافتضاظ نظرة شرعية لأن المجتمع قرر ذلك وعلى هذا الأساس فان كل تجربة جنسية ليست جنسية بحد ذاتها إنما تعتبر جنسية إذا خضعت للتعريف الاجتماعي أي إذا قنتها المجتمع واعترف بها.

● السداية : وهي المنسج الذي تستعمله الامهات سابقا لنسج البرانيس والقشابية والزرابي التقليدية

● المبحوثة : ش فارح : عمرها 10 سنوات " الصف الخامس ابتدائي " التي تمت عليها العملية يوم 2017/08/08 على الساعة 11:00 صباحا

● المخبرة : حركات ف : 1965 (سنة سادسة ابتدائي – ربة بيت)

إن افتضاض عذرية المرأة لا يمكن أن يحدث إلا إذا فتح تصفيح الأنثى قبل الزواج ويتم ذلك بتكرار العملية نفسها وعكس المقولة "انا خيط وولد الناس خيط" 07 مرات** ليصبح هذا الجسد متحررا من المفعول السحري للغلق إلا أن هذا ليس دليلا ماديا على عذرية الفتاة فالبرغم من ذلك نجد الأم حريصة على اخذ العروس إلى أخصائية نسائية لتختتم هذه البكارة شهادة تثبت العذرية (certificat de virginité) إن هذا الافتضاض هو مؤشر على عفة الأنثى وعلى فحولة الرجل فالشريك الأول الذي يفتض هذا الجسد يقع على تملكه له ولذاكرته البيولوجية بشكل دائم ومن هنا كان البحث عن الأبيكار العذارى للزواج حتى يظل الرجل مسجلا في ذاكرة المرأة ، إنها إرادة سيطرة مطلقة على جسد المرأة ولذلك كان جسد المرأة مخيفا لأنه ذاكرة أيضا من هنا تتجلى قيمة العذرية ، فهي الضامن الوحيد لطهارة المرأة وبراءتها من كل جنسانية قبل زوجية من المنظور الذكوري الذي رسخ لهذا المفهوم (مجموعة من الباحثين، 2008)

إن ممارسة التصفيح في المجتمع المحلي تأكيد وإجابة للتساؤل الذي طرحته فاطمة المرينسي في كتابها "الجنس كهندسة اجتماعية" لماذا الخوف من حياة المرأة الجنسية ؟ هذا الخوف الذي يعكس أهمية العذرية في المجتمع المحلي باعتبارها قيمة ثقافية اجتماعية دينية بل وإيديولوجية لأنها تمارس ثقلا اجتماعيا ومؤشرا من مؤشرات القيمة التي فرضت نفسها على منظومة التمثلات الجماعية ، فعذرية المرأة بكارتها اتخذت رمزية كبيرة نتيجة الضغط الذي يمارسه المجتمع فأضحت رهانا للشرف ومحددا له وبذلك أصبحت إحدى المقاييس الأخلاقية التي تسري على جميع الأفراد دون استثناء.

مما سبق وبمنظور تحليلي لقيمة العذرية ولممارسة التصفيح في المجتمع المحلي نخلص إلى القول أن عذرية الفتاة هي دليل على شرف العائلة والمس بها هو مس بشرف العائلة وخاصة شرف رجالها أي ذكورها الذين لم يستطيعوا الحفاظ عليها وبالتالي تحولهم إلى مفعول بهم جنسيا لأن الذكورة أو الرجولة هي القدرة على الوطء ومنع الوطء في آن واحد ، هي القدرة على الافتضاض ليلة الزواج والقدرة على حماية عذرية النساء اللائي في أسرتهن ففعل السيطرة هنا يدرك كفعل رجولي بامتياز كفعل جنساني بشكل الإخفاق فيه إخفاقا جنسيا ينال من رجولة الرجل وهذا ما اتفق فيه مع رأي عبد الصمد الديالمي " المرأة والجنس في المغرب " ما يؤكد من ناحية أخرى إن هذا الطابو " العذرية " ليس ظاهرة محلية جزائرية فقط إنما هي مغربية بل متوسيطية .

- المبحوثة : ش فارح : عمرها 10 سنوات " الصف الخامس ابتدائي " التي تمت عليها العملية يوم 2017/08/08 على الساعة 00: 11 صباحا

إن هذه القيمة والأهمية البالغة التي يولها المجتمع المحلي للعذرية باعتبارها الدليل الملموس على شرف المرأة وعفتها شكل هوسا وهاجسا لدى المرأة في المجتمع المحلي بل لدى الأسرة بأكملها ما جعلها تلجأ إلى طقس الإغلاق أي ممارسة التصفيح للحد من علاقاتها الجنسية فأصبح التصفيح ميكانيكيا دفاعيا ضد النبذ والإقصاء الاجتماعي إذن لقد أصبح الجسد الأنثوي محط مساءلة للخوض في الجانب الأخلاقي ، فتاريخ الأخلاق هو قبل كل شيء تاريخ الجد فالمرأة في المجتمع المحلي لا تتمتع باستقلالية ذاتية في جانب الجنساني فهي محاطة بمنظومة أخلاقية دينية مجتمعية تعمل الأسرة على تسريبها من خلال عمليات التنشئة الأسرية التي ترافق الأنثى من ولادتها إلى مراحل متقدمة إلى مابعد الزواج ، هذه المنظومة القائمة على تبجيل الذكر وهيمنتها في الوسط الاجتماعي وهكذا تنصهر الأنثى في قالب الرجولة والحفاظ على اللقب الاجتماعي ومنه يصبح الحفاظ على العذرية وغشاء البكارة مقياسا للتربية الأسرية والخلق الرفيع

إن قيمة العذرية تعد محددا أساسا من محددات الشرف والعفة في المجتمع المحلي باختلاف المستوى الثقافي والاجتماعي الافتضاض فهي تسري على جميع الأفراد دون استثناء فهي طابو مقدس لا يمكن مناقشته ما يمكن تفسيره بالسلطة المعنوية التي تمارسها المعتقدات والأعراف على الأفراد والخروج عنها هو الخروج عن الجماعة يعرض صاحبها للاحتقار

ان هذه القيم التي تمارس سلطتها على الفاعلين " الأفراد " بطريقة سلسلة جعلت منها بديهيات فيما تعلق بالعذرية ، إلا أن السؤال الذي يطرح نفسه ما مصير هذه القيمة " العذرية " في ظل ظهور بدائل عصرية " هل بقي هاجس الحفاظ على غشاء البكارة شرطا من شروط الشرف والعفة في زمن غزت فيه العولمة والتطور التكنولوجي جميع مجالات الحياة ؟ هل مازالت الأم تحمل عبء تحصين ابنتها بالتصفيح في زمن التكنولوجيا ؟

العذرية والتغير الاجتماعي :

إن العالم يواجه تحولات سوسيو ثقافية سريعة في كل المجالات مست الجانب القيمي للمجتمعات " القيم " فرغم رقي المرأة القوي وخروجها للعمل واشتغالها بوظائف كانت إلى وقت قريب حكرا للآخر " الذكر المغاير " لكن الواقع المعاش يظهر إن مكانة المرأة الجزائرية عموما وفي المجتمع المحلي خصوصا مرتبطا بعذريتها وهذا ما اتاه مالك شبل في كتابه " المخيال العربي الإسلامي " حيث أن فقدان العذرية خارج مؤسسة الزواج يعتبر من الممنوعات لأنه يلطخ شرف وعرض عائلة الفتاة الفاقدة لعذريتها " وبالتالي فكل فعل من شأنه تشويه مكانة العائلة وإسقاط صورتها المثلى في المجتمع يحيل الفتاة إلى محاكمة مسبقة من قبل الجميع، دون ترصد الحقائق حتى ولو كانت ضحية لممارسة غير مشروعة وتوصم هي وعائلتها بالعيب بقية حياتها. وحسبما جاء به الباحث إبراهيم بن عرفة (بن

عرفة و عالية ، 2021، ص 75) فهي سمة من سمات مجتمعنا الجزائري خصوصا والعربي عموما والذي يمارس كل أليات التهميش والإقصاء في حق الجسد الأنثوي، مما يطرح فكره مفادها أن الأنثى في حد ذاتها عبارة عن تابو ، وأثناء عملية التواصل مع الناس أو الجمهور يتم الاستعانة بالجسد الانثوي في الإشهار لتحريك الفطرة الشهوانية والغريزة الجنسية على المنتج حتى وإن كان بلا قيمة، وتصبح الإشهار بمثابة العيب والحرام في الحوارات اليومية للناس. وهو ما وضعه جان بودريار: " الجسد أصبح كيانا اجتماعيا يحضر الطقوس والمناسبات... إلى أن أصبح يحل محل الوظيفة الأخلاقية والإيديولوجية التي نشأت عليها المجتمعات " (بن عرفة و عالية ، 2021).

الخاتمة

مما سبق وبمنظور تحليلي لقيمة العذرية ولممارسة التصفيح في المجتمع المحلي نخلص إلى القول أن عذرية الفتاة هي دليل على شرف العائلة والمس بها هو مس بشرف العائلة وخاصة شرف رجالها أي ذكورها الذين لم يستطيعوا الحفاظ عليها وبالتالي تحولهم إلى مفعول بهم جنسيا لان الذكورة أو الرجولة هي القدرة على الوطء ومنع الوطء في آن واحد ، هي القدرة على الافتضاض ليلة الزواج والقدرة على حماية عذرية النساء اللاتي في أسرتهن ففعل السيطرة هنا يدرك كفعل رجولي بامتياز كفعل جنساني بشكل الإخفاق فيه إخفاقا جنسيا ينال من رجولة الرجل وهذا ما اتفق فيه مع رأي عبد الصمد الديالمي " المرأة والجنس في المغرب " ما يؤكد من ناحية أخرى إن هذا التابو " العذرية " ليس ظاهرة محلية جزائرية فقط إنما هي مغربية بل متوسطية .

إن هذه القيمة والأهمية البالغة التي يوليها المجتمع المحلي للعذرية باعتبارها الدليل الملموس على شرف المرأة وعفتها شكل هوسا وهاجسا لدى المرأة في المجتمع المحلي بل لدى الأسرة بأكملها ما جعلها تلجا إلى طقس الإغلاق أي ممارسة التصفيح للحد من علاقاتها الجنسية فأصبح التصفيح ميكانيزما دفاعيا ضد النبذ والإقصاء الاجتماعي إذن لقد أصبح الجسد الأنثوي محط مساءلة للخوض في الجانب الأخلاقي ، فتاريخ الأخلاق هو قبل كل شيء تاريخ الجسد فالمرأة في المجتمع المحلي لا تتمتع باستقلالية ذاتية في جانب الجنساني فهي محاطة بمنظومة أخلاقية دينية مجتمعية تعمل الأسرة على تسريبها من خلال عمليات التنشئة الأسرية التي ترافق الأنثى من ولادتها إلى مراحل متقدمة إلى مابعد الزواج ، هذه المنظومة القائمة على تبجيل الذكر وهيمنتها في الوسط الاجتماعي وهكذا تنصهر الأنثى في قالب الرجولة والحفاظ على اللقب الاجتماعي ومنه يصبح الحفاظ على العذرية وغشاء البكارة مقياسا للتربية الأسرية والخلق الرفيع

إن قيمة العذرية تعد محمدا أساسا من محددات الشرف والعفة في المجتمع المحلي باختلاف المستوى الثقافي والاجتماعي الافتضاض فهي تسري على جميع الأفراد دون استثناء فهي طابو مقدسا

لا يمكن مناقشته ما يمكن تفسيره بالسلطة المعنوية التي تمارسها المعتقدات والأعراف على الأفراد والخروج عنها هو الخروج عن الجماعة يعرض صاحبها للاحتقار

ان هذه القيم التي تمارس سلطتها على الفاعلين " الأفراد " بطريقة سلسة جعلت منها بديهيات فيما تعلق بالعدرية ، إلا أن السؤال الذي يطرح نفسه ما مصير هذه القيمة " العذرية " في ظل ظهور بدائل عصرية " هل بقي هاجس الحفاظ على غشاء البكارة شرطا من شروط الشرف والعفة في زمن غزت فيه العولمة والتطور التكنولوجي جميع مجالات الحياة ؟ هل مازالت الأم تحمل عبء تحصين ابنتها بالتصفيح في زمن التكنولوجيا ؟

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن منظور . (2004) . لسان العرب . بيروت لبنان: دار لسان العرب .
- بلحسن، م . (2010) . العذرية والرقابة الاجتماعية . التدوين. 38 ,
- بن عرفة، إ & ، عالية ، ب . (01 06 2021) . التربية الجنسية بين الجندر والطابو في عالم المتغير . مجلة روافد. 469/485, p. 5(1) ,
- بن عرفة، إ & ، عالية، ب . (2019) . جوان 15 . (المسكوت عنه في التواصل الاجتماعي بين المقدس والمحرم في انثروبولوجيا الحياة اليومية . مجلة انثروبولوجيا. 68-83, pp. 3(5) ,
- بينار ايلكاركان. (2004). المرأة والجنسانية في المجتمعات الاسلامية. (معين الامام، المترجمون) بيروت، لبنان: دار المدى للثقافة والنشر.
- حسن، م. م . (2010) . العذرية الثقافية " دراسة في انثر الجسد . " سوريا، دمشق : دال للنشر والتوزيع.
- السعداوي، ن . (1982) . المرأة والصراع النفسي . بيروت، لبنان : المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- مالك شبل. (2010). الجنس والحريم وروح السراي ، السلوكات الجنسية المهمشة في المغرب الكبير. (عبد الله زارو، المحرر) المغرب: افريقيا.
- مجموعة من الباحثين . (2008) . تابو البكرة، كراسات الاوان ، . دمشق، سوريا: دار تبر للنشر والتوزيع.